الاسلحة العربية في العصر العباسي
في ضوء المصادر الاثرية والتأريخية

كلية الاداب ـ جامعة بغداد

الدكتور صلاح حسين العبيدي

لقد كان العرب منذ نشأتهم مجبولين على حب الفروسية ومزاولة وان ملازمتهم للسلاح وشعورهم بالحاجة اليه منذ بدء حياتهم دفعهم الى الاعتزاز به والاهتمام بانواعه .

وكانت احاديث السلاح من الاحاديث المألوفة في مجالسهم يتذاكرون اصنافها ويقفون على المشهور منها ويتابعون الابطال الذين ابلوا في الحرب البلاء الحسن واضافوا الى امجادهم امجادا جديدة في صمودهم وقتالهم ، وقد وقف كثير من المؤرخين عند هذه الاحاديث وتناولوها بالتفصيل لانهم كانوا يجدون فيها استمرارا لقدرتهم وتأكيدا لوجودهم وتحبيبا لاجيالهم التي كانت تتلقى صنعة الحرب باعتبارها الصنعة الحقيقية التي تمكنهم من الوقوف امام خصومهم ومجابهتهم للاعداء باسلحة مختلفة اثار فيهم الرغبة الى تطوير اسلحتهم لتكون قادرة على مجابهتهم وهذا ما دفعهم الى ان يتناولوا سائر معداتهم الحربية بالتحسين حتى ادهشوا في ذلك خصومهم .

وقد ظلت ملازمتهم للسلاح دليلا من ادلة حبهم له واعتمادهم عليه وتقديسهم لقدرته في بعض الاحيان لانه يمثل العامل الحاسم في المعارك التي خاضوها والحاجز الفاصل عندما يتعرضون للتحدي ويجابهون من قبل المعتدين والطامعين ، وقد دفعهم ذلك الى ان يتقنوا صنعته ويبرعوا في اصنافه ، ولعل ورود اسم الصناع والمواضع التي كانت تصنع فيها السلاح تؤكد هذا الاهتمام .

وفي القرآن الكريم آيات تحبذ حمل السلاح . قال تعالي « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم . » وقال تعالى « لقد ارسلنا رسلنا وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز » . وكان الرسول (ص) يحث الناس على تعلم الرمي ويؤكد على السلاح والتدريب على استعماله قال (ص) « من تعلم الرمي ثم تركه فهو نعمة تركها » .

والاسلحة التي استخدمها العرب في القتال كثيرة ومتنوعة يمكن تقسيمها الى قسمين :

١ ــ اسلحة خفيفة كالسيف والرمح والقوس والترس والبيضة وغيرها .

٢ ــ اسلحة ثقيلة كالمنجنيق والعرادة والدبابة والقذائف النارية والبارودية والغازات السامة وغيرها .

الاسلحة الخفيفة

السيف : اما السيف فيعتبر من اشرف الاسلحة وانبلها عند العرب . وكان العربي يفخر بسيفه ويعتز به . فقد سأل عمر بن الخطاب (رض) عمر ابن معد يكرب «عن السلاح فقال : ما تقول في الرمح؟» قال اخوك وربما خانك فأنقصف . قال : ما تقول في الترس ؟ ، قال هو المحز وعليه تدور الدوائر . قال فالنبل ؟ قال : منايا تخطي وتصيب . قال فالسيف ؟ قال : هناك ثكلتك امك . فضربه عمر وقال بل امك لا ام لك[1] .

وروى عن الاحنف بن قيس قوله « لا تزال العرب عربا ما لبست العمائم وتقلدت السيوف »[٢] .

وقد ظل السيف انشودة العربي التي يتغنى بها في كل موقع فرددها عند كل حالة ولا يغيب عن تصورنا ما ذكره عنترة وهو في سياحة الحرب حيث يقول[٣] .

مكتبة قسم اللغة العربية
كلية الاداب

فوددت تقبيل السيوف لانها
لمعت كبارق ثغرك المتبسم

ومن السيوف التي اشتهرت في الجاهلية صمصامة عمرو بو بن معد يكرب ، ضرب به المثل في الجاهلية في كرم الجوهر وحسن المنظر وكانت العرب في الجاهلية يزينون سيوفهم برسوم وصور الحيات والاسماك[٤] .

ومما يدل على اهمية السيف في صدر الاسلام ان العرب وضعوا له ولاجزائه اسماء كثيرة كما تعددت انواعه وصارت تنسب الى البلاد والصناع . فالسيف الذي يطبع بارض الهند يقال عنه الهندي ، والهند ناوى والمهند[٥] ، والسيف اليماني نسبة الى اليمن التي كانت مشهورة بصناعة السيوف منذ اقدم العصور[٦] . والبصروية نسبة الى بصرى بالشام[٧] . اما القليعي فهي السيوف التي تنسب الى قلعة وهي موضع بالبادية تنسب اليه السيوف[٨] ، والكوفية هي السيوف التي طبعت بالكوفة[٩] .

وقد امتازت النصال العربية الاسلامية على غيرها من سيوف العالم القديم والوسيط بظاهرة فنية تعرف بأسم جوهر السيف او فرندة .

والفرند في اصلاح صناعة السيوف عبارة عن تموجات ترى على صفحات النصال على شبه عقد متناسقة متقاربة متلاصقة او كبقع مستديرة بها خانات متعددة يخال لعين الرائي انها مؤلفة من الوف اسلاك الفولاذ الدقيقة ممتزجة بمعدن اخر يختلف عنها لونا وربما ظهرت تلك التموجات متراكبة بعضها فوق بعض ومنطوية مع كثرتها على هيئة اشكال هندسية جميلة ذات ترتيب انيق واحكام بديع[١٠] .

وكانت السيوف المستقيمة هي السائدة في الاستعمال في العصر العباسي وهي سيوف عريضة النصال بعضها له حد واحد الا ان اكثرها ذا حدين وينتهي النصل بطرف مدبب وقبضة السيف مستقيمة تعلوه قبعة كروية الشكل في اغلب الاحيان او مفرطحة وفي اسفل المقبض حديدة معترضة على فم الغمد لها طرفان ينتهيان بقطعتين كرويتين وتسمى هذه الحديدة الشاربان او واقية السيف[١١] .

لم يصل الينا من العصر العباسي سوى سيف واحد محفوظ في متحف طابقسراي بأستنبول وهو مستقيم النصل له واقية مصنوعة من الحديد ومقبضه من الذهب وقد نقش على مقبضه اسم الخليفة العباسي المعتصم بالله اخر خلفاء بني العباسي[١٢] (شكل ١) .

هذا وقد وصلت الينا نماذج من السيوف العباسية مصورة على بعض القطع الاثرية نذكر منها درهم فضي للخليفة المقتدر بالله محفوظ في المتحف العراقي ونشاهد على احد وجهيه صورة للخليفة ممتطيا جوادا ومتقلدا سيفا مستقيم النصل[١٣] (شكل ٢) .

وفي متحف الفن الاسلامي بالقاهرة شمعدان من النحاس الاصفر من صناعة محمد بن فتوح الموصلي يرجع تاريخه الى القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ويزين بدن الشمعدان عدد من الاشرطة نقشت عليها مجموعة من الدوائر ونشاهد في احدى هذه الدوائر صورة لامير او قائد عسكري يجلس القرفصاء ويحتضن سيفا مستقيم النصل[١٤] (شكل ٣) .

الرمح

وبالاضافة الى السيف فقد استخدم العباسيون الرمح . ولم تكن اهميته اقل من اهمية السيف . والرمح عود طويل يصنع من القنا ، وهو قصب مسرد من الداخل يركب في رأسه نصل من حديد يطعن به .

وبلغ من اهتمام العرب بالرماح ان وضعوا لها اسماء كثيرة بالنسبة الى

اماكن صنعها • فهناك الرمح الرديني المنسوب الى امرأة يقال لها « ردينه » كانت تباع عندها الرماح • وكان زوجها « سمهير » يقوم الرماح ايضا • ونسب اليه نوع منها اطلق عليه الرماح السمهرية[١٥] •

لقد شاعت في العصر العباسي انواع من الرماح منها نوع يطلق عليه اسم « القنطاريات »[١٦] وهي رماح قصيرة وعريضة ، وغالبا ما كان يستخدمها الفرسان • اما المشاة فكانو يستعملون نوعا اخر يعرف بالمزاريق[١٧] وهي رماح قصيرة في رأسها سنان يصنع من الفولاذ وتستخدم رميا وطعنا ، وقد وجد نموذج للرماح وذلك في قطعة من الجص منقوشة بزخارف بارزة تنسب الى القرنين السادس او السابع الهجريين (١٢ ، م) ، وفي الجزء العلوي منها شريط عريض عليه رسم فارسين يمتطيان صهوة جوادين متقابلين ويمسك كل من الفارسين رمحا يحاولان ان يطعن به الاخر (شكل ٤) •

القـــوس :

والى جانب السيف والرمح اتخذ العباسيون القوس ايضا ، وكان من الاسلحة الاساسية للجيش العباسي وكان اصحاب هذا الصنف يشكلون فرقة خاصة يطلق عليها النشابون •

يتألف السلاح من ثلاثة اجزاء هي القوس والسهم والوتر • أما القوس فهو عود من شجر لين يحنى طرفاه كالهلال يثبت فيهما وتر ترمى به السهام ، كانت العرب تتخذ القوس من شجر الضال والنبع والشوحط والسدر والسريان والاشكال والحماط والثالب والنشم[١٨] •

اما الوتر فهو الذي يصل بين طرفي القوس ويصنع من خيوط مفتولة او شراك جلد او عقب عنق البعير لذا يقال (عقب القوس)[١٩] •

أما السهم فيصنع من خشب تعمل فيه حزوز يركب فيها الريش باحد طرفيه وفي الطرف الاخر يركب نصل من حديد مدبب له سنتان في عكس

والسدر والسريان والاشكال والحماط والتالب والنشم[٢٠] .

ولابد للسهام من كنانة او جعبة تودع فيها السهام . والكنانة وعاء يتألف من قوائم خشبية يوصل ما بينها بالجلد او يتخذ من الجلد او الخشب فقـــــط[٢١] .

وكانت العرب تحفظ اقواسها بغلاف خاص يدعى الموشق[٢٢] .

لقد كان العرب من امهر المقاتلين في النزاع بالقوس ، فقلما كانـت تطيش سهامهم ، وبلغ من اجادتهم في الرمي حدا يكـاد يتعـدى طـــور التصديق ، ولاشك ان حدة ابصارهم وقوة سواعدهم ولحاجاتهم اليهـا في الحرب والصيد جعلهم يتقنون الرماية بها الى حد بعيد . ومما يدل على مهارة العرب وتفوقهم باستخدام القوس ما ذكره صاحب العقد الفريد ان احدهم كان يستطيع ان يرمي بالنبال احدى عين غزال دون العين الاخرى . وكان العربي يعلق ضبيا بشجرة ويرمي بالنبال فيصيب اي عضو يشاء من احشائه حتى يرمي فقراته فقرة فقرة فلا يخطيء واحدة[٢٣] .

ويظهر ان مهارة العرب في فن الرماية بالقوس والدقة في اصـابة اي هدف لم تأت بشكل اعتباطي ولكنها كانت تخضع لقواعد واسس دقيقة جاء على ذكرها المؤرخون . فمن وصية لكشاجم[٢٤] الى رامي النبال الذي يستخدم القوس ليلا قال « اجعل عينك على يسارك ويدك على منكبك والوتر على اذنك فما حاذاك من شيء فارمه على تلقائك » .

اما في حالة استخدام القوس نهارا يقول كشاجم[٢٥] لا تعتمد رمي شيء في ذلك مستديرا ولا ملتفتا ولكن اجتهد في مطرفه الا ترى .

وقد بذل العباسيون عناية كبيرة في تطور سلاح القوس بعد ان لمسوا فائدته القتالية فتوصلوا الى ابتكار انواع منها تتفاوت شكلا وقوة منهـا القسي العربية وتسمى ايضا بقوس الحسبان لانها ترمي عددا من السهام تتراوح ما بين اربعة او خمسة اسهم فاذا دفعها الوتر خرجت كالجـراد المنتشر دفعة واحدة فلا بد ان تصيب واحد منها الهدف[٢٦] .

ومنها قوس الزيار ، وهي اشد الاقواس رميا واعظمها جرما وانكاها سهما ويحتاج ايثارها الى عدد من الرجال وينتصب على الابراج وما شابهها، والقوة الدافعة فيها تأتي من شد وتر ثم تركه يعود الى حالته الطبيعيـــة قاذفا ما يحمله الى بعد يتناسب مع قوة الشد مع التزيير[٢٧] .

وهناك انواع اخرى من الاقواس تعرف بقوس العقـــار والجـــرخ وهما دونهما في القوة وجذب وترهما تكون بلولب[٢٨] .

والى جانب الاقواس التي تطلق باليد هناك انواع منها يطلق عليها اسم (قوس الرجل) ويكون ذلك بدفع رجلي الانسان مع جذب ظهره لان جرها يفرض على الانسان ان يجعل في وسطه حزاما من الجلد وفي طرفيـــه كلابين من الحديد[٢٩] .

كما عرف نوع اخر من القسي تعرف باقواس الابراج وهي الاقواس التي تنصب على الابراج وذلك بأن يعمل اربعة اقواس جرخ في برج له اربعة جهات تنصب كل جهة منها قوس ولكل قوس مجراه بها للسهام تنتهي هذه في قفل واحد ويوضع في كل مجراة ثلاثة او اربعة سهام ويرمي بهذه القسي الاربعة رجل واحد فتخرج في دفعة واحدة ما بين اثنتي عشر الى ستة عشر سهما وان كان البرج مسدسا فيكون الخارج منها اربعة وعشرون ســـهما ويتضاعف النشاب بتضاعف جبهات البرج . ويرمي الجميع رجل واحد فيظهر ان في البرج رجالا بعدد السهام الخارجة من البرج[٣٠] .

هذا ما اورده المؤرخون الاقدمون والباحثون حول القوس والسهم . أما في مجال الاثار فقد وصلت الينا نماذج من الاقواس مصورة على الاثار العربية الاسلامية المختلفة مثل الخزف والمعدن والمخطوطات المصورة . فقد زودتنا هذه الاثار برسوم للقوس والسهم نذكر منها على سبيل المثال ورقة من مخطوط محفوظة في المتحف البريطاني بلندن عليها رسم منقوش يمثـــل معركة حربية يظهر فيها مجموعة من الفرسان على خيولهم يهاجمون حصنا ونشاهد ثلاثة من المدافعين يحتلون الاقسام العليا من الحصن ، اثنان منهم

من النشابين في يد كل منهما قوس يشـــده ليطلق منه ســـهما نحو القوة المهاجمة (شكل ٦) .

ووجدنا على بعض التحف الخزفية امثلة للقوس نذكر منها طبق من مجموعة كليكيان يرجع تاريخه الى حوالي القرن السابع الهجري (١٣م) عليه رسم يمثل معركة حربية وتتمثل في هذا الرسم صور القلاع واسوار مدينة يحميها رماة ويهاجم اسوار المدينة من الخارج مجموعة من المقاتلين بمختلف الاسلحة من بينها القوس والسهم .

الـــــدرع :

ومن المعدات الحربية الاخـــرى (الدروع) والدرع رداء يلبس في الحرب لتغطية الصدر والظهر وبعض الذراعين تقريبا لوقاية مرتديه مـــن ضربات السيوف وطعنات الرماح وتأثير السهام .

ومن هنا جاء اهتمام العرب بهذا السلاح سواء قبل الاسلام او بعده فقد وصف الشعر الجاهلي هذا النوع من السلاح واشاد فيه ومجد دوره في القتال لانه وقاية الفارس وحاجز الموت عنه ووسيلته في الدفاع[٣١] .

وقد حظي الدرع بالاهتمام في العصر الاسلامي حتى بلغت صناعته في العصر العباسي درجة كبيرة من الدقة والاتقان وقامت الدولة بانشـــاء المصانع واصبح من اهم صنوف الجيش العباسي وخاصة صنف الفرسان . وكان يقال للرجال الذين يلبسونها بالدراعين[٣٢] .

تتخذ الدروع من مواد مختلفة منها زرد الحديد ، وتكون على شكل حلقات معدنية صغيرة كثيرة العدد متداخلة بعضها في بعض لتكون ما يشبه النسيج او يصنع من صفائح معدنية قليلة العدد وتسمى عند ذلك (لامه) وقد يتخذ الدرع من القماش السميك مثل الكتان او الجلد وتسمى في هذه الحـــالة دلاص[٣٣] .

واستعمل الملاحون الذين يعملون على السفن والمراكب الحربيـــة نوعا من الدروع تصنع من اللباد اطلق عليها اسم (اللبابيد) وكانت تقي

اجسامهم من سهام الاعـداء .

وكان العرب يلبسون الدروع على ثوب من النسيج حتى لا تؤثـر صلابتـه على المقاتل[٣٤] .

وكانت الدروع تشتمل وقئذ على قميص من الزرد يطلق عليه اسـم (درع) وكانت اقمصة الزرد هذه قصارا او طوالا ، على ان بعضا منها لم يكن بالطويل فحسب بل كان يسترسل الى الارض ويطلق عليه اسم زرديات سابلة ، كانت تغطي ساقي الفارس[٣٥] .

ويشير ماير[٣٦] الى هذا النوع مـن القمصان فيقول « ان القميص المصنوع مـن الزرد الخالص ظل مستخدما في الشرق غالبا الى وقتنـا الراهن » . ثم قدم لنا وصفا لقمصان الزرد بهذه الصورة (وكانت حلقات هذا النوع وسلاسل الزرد التي ترجع الى عصر مبكر تحمل احيانا زخارف مطبوعة وبعض هذه الزخارف كان بارزا في هيئة خطـوط او قنوات او حبيبات او نصوص كتابية وكانت كل حلقة من حلقات الزرد الاسـلامي تبرشم احيانا بمسمارين من المعدن ينفذ رأسا من ناحية الى أخرى) ثم يمضي ويقول (كانت اقمصة الزرد تقـوى برقاق مستطيلة من المعـدن تتداخل اطرافها بعضها تحت بعض) .

الجـــــوشن :

أما الجوشن فهي الواح صغار من حـديد او القرن او من الجلـد وتلبس حول الجزء الاوسط من الجسم فوق الثياب[٣٧] . وبعض الجواشن كانت من النوع القوي الذي لا تعمل فيه السيوف ولا النشاب ، وقد اشار الطرسوسي الى صنعه عمل هذا النوع من الجواشن[٣٨] .

البيضـــــة

وعرف العصر العباسـي نوعا مـن اغطية الرأس التي اتخـذها العسكريون في العصر المذكور اطلق عليه اسم (البيضة) وهي غطاء للرأس وكانوا يتخذونها من الحديد او الفولاذ ويكون شكلها مستديرا ولها مقدم

يقال له القونس .

لقد ورث المجتمع العباسي عن اسلافهم هـذا النوع مـن المعدات العسكرية فقد وردت اشارت للبيضة في حديث الاخباريين اذ يحدثنا ابن الزبير[٣٩] ، انه وجدت في خزائن السلاح بعد وفاة الخليفة هارون الرشيد عشرة الاف بيضة .

وتحمل الينا الاثار العباسية امثلة للبيضة مثال ذلك جزء من بلاطه نجمية الشكل (شكل ٧) مصنوعة مـن الخـزف ذو البريق المعدني وهي محفوظة في متحف بوسطن للفنون الجميلة وتاريخ هذه البلاطة يرجع الى حوالي القرن السابع الهجري (١٣م) عليها رسوم تمثل معركة حربيـة نشاهد في الجزء الامامي منها رسم شخصين بالحجم الكبير يبدو انهما في محاورة ويمتطي كل منهما فرسه ، ويلبس غطاء رأس عبارة عن بيضة تشبه تلك التي تستعمل من قبل افراد الجيش في الوقت الحاضر وهي مدببة من الوسط وتزين السطح دوائر صغـيرة مستديرة الشـكل ، ويرجـح ان هذين الشخصين من القواد لا لكبر حجمهما في الصورة فحسب بل لهيئتهما ايضا وخلف هذين القائدين تظهر صور الجنـود وقد تعالت في اوساطهم البيارق ويغطي رأس البعض منهم بيضة من نفس النوع السابق .

المغفـــــر :

وتذكر المصادر التاريخية نوعا آخرَ من أغطية الرأس يطلق عليه اسم المغفر ، والمغفرة او الخوذة كما تسمى احيانا فقد جاء في التاج[٤٠] . ان الخوذة بالضم المغفر والمغفر او الخوذة زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس ويلبس تحت قلنسوة مزودة بشـملة مـن الزرد تغطي الرقبـة والاذنين ، ويذكر السعودي عند حديثه عن قتال الامين والمأمون ان جند الامين كانوا يقاتلون وقد اتخذوا لرؤوسهم خوذا .

التـــــرس :

أما الترس فهو آلة حربية دفاعية تحمل باليد بواسطة مقبض ويقي

بها المقاتل نفسه من ضربات السيف والرمح والسهم والحجارة وغيرها .
وهو من المعدات الحربية المهمة التي كانت تستخدم عند التقدم نحو العدو .

وقد اتخذت الاتراس من مواد مختلفة مثل الحديد والفولاذ ، ومنهم من اتخذها من الخشب المغطى بجلد الابل وتسمى في مثل هذه الحالة بالدرقة او الجحف[٤١] .

وتفنن العرب في زخرفتها فنقشوا عليها الايات القرآنية والحكم والامثال وابيات اشعر .

وقد عرف العصر العباسي انواعا من التروس مثل الترس العراقي والترس الدمشقي والترس الغرناطي[٤٢] وهي على اشكال واحجام مختلفة تبعا للغرض الذي استخدمت من اجله، فمنها الترس المستدير وهو منحني الاطراف من جهة حاملة وله قمة بارزة الى الخارج تسهل انزلاق الرمح عنه[٤٣] . ومن الاتراس نوع مستطيل الشكل وكان يستخدم لصد ضربات السهام ويحمله الفرسان بالدرجة الاولى لان حجمه يكفي لحماية النصف الاعلى من جسم المقاتل[٤٤] .

والى جانب هذه الاتراس فقد عرف الترس المقبب المنحني الاطراف الى خارج مما يجعله يصلح لصد ضربات السيف والسهم والحجارة ولكنه لا يصلح لصد طعنات الرمح بل بالعكس فهو يثبت الرمح فيه[٤٥] .

الاسلحة الثقيلة :

أما الاسلحة الثقلية فتشتمل على المنجنيق والعرادة والدبابة والقذائف النارية والبارودية وغيرها .

المنجنيق :

أما المنجنيق فهي آلة حربية تستخدم لدك المدن والحصون ويعتبر بمثابة سلاح المدفعية الثقلية في عصرنا الحاضر .

والتصميم العام لهذه الالة الخشبية انها تتكون من دفتين قائمتين بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف وفيه تجعل كفة المنجنيق التي

يجعل فيها الحجر يجذب حتى ترفع اسافله على اعاليه ثم يرسل فيرتفع وذنبه الذي فيه الكفة فيخرج الحجر منه الى مسافات بعيدة[٤٦] .

ولم يقتصر المنجنيق على رمي الحجارة بل تعددت استعمالاته فمنه ما هو لرمي النشاب ومنه ما هو لرمي القذائف النارية او لرمي العقارب والحيات وغيرها ، اما عن اصل المنجنيق فقد اختلف فيه المؤرخون وعلماء الاثار من العرب والمستشرقين ، فرده بعضهم الى اصـــول بيزنطية ورده اخرون الى اصول فارسية[٤٧] .

ونحن بدورنا لم نستسلم لاقوال هؤلاء لان ما ذكروه ليس هـــو المحصلة النهائية للدراسات في هذا المجال ولا يعد كلامهم وثيقـــة ثابتة في اصل المنجنيق التي يعتمدها الباحث في مجال الاثار

لقد وقفنا على بعض النصوص ونحن نبحث في اصل المنجنيق . وقد دلت المؤشرات الواضحة على ان دراية العرب بهذا السلاح كانت قديمة ، فقد افادت المصادر التاريخية[٤٨] ان احد ملوك العرب وكان يقال له جذيمة الابرش مؤسس دولة التنوخيين (١٣٨ــ٢٦٨م) كان اول من استعمل المنجنيق في الجاهلية . وقد يكون في الاكتشاف الاخير للمنجنيق في مدينة الحضر ما يؤكد ان العرب سبقوا غيرهم في معرفتهم بهذا السلاح . فقـــد عثرت بعثة التنقيبات التابعة لمديرية الاثار العراقية في المدينة المذكورة على اقدم منجنيق معروف في العالم لحد الان (شكل ــ ٩) .

ومن المعروف ان الحضر مدينة عربية اسسها العرب في الجزيرة وبلغت اوج مجدها في القرون الثلاثة الاولى للميلاد ، وظلت مزدهرة الى منتصف القرن الثالث الميـــلادي ..

ومثلما عرف العرب المنجنيق في العصر الجاهلي عرفوه بعد الاسلام فقد ذكر الطبري ان (عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة لم يشهدا مـــع الرسول (ص) وقعة حنين ولا حصار الطائف لانهما كانا بجرش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور [٤٩] .

جاء في كتب السير ان العرب استخدموا المنجنيق لاول مرة في غزوة الخندق ويذكر ابن الاثير[٥٠] ان المسلمين استعملوا المنجنيق في حصار الطائف . ويورد ابن الاثير[٥١] ايضا ان الجيش الذي ارسله الخليفة عمر بن اخطاب (رض) لفتح بهرسير (المدائن الغربية) كان يقاتل بكل عدة من بينها سلاح المنجنيق فنصبوا عليها عشرين منجنيقا .

وكان من الطبيعي ان يهتم الامويون اهتماما خاصا بمثل هذه الالة الحربية في فتوحاتهم التي امتدت من اقصى الشرق الى اقصى الغرب حتى وصلت المحيط الاطلسي والتي بدأت تشارك مشاركة فعالة في تلك الفتوحات وتشير الكتب التاريخية الى ان المنجنيق كان من بين الاسلحة التي استخدمها الحجاج في فتح بلاد السند . فقد جهز هذا الوالي جيشا كامل العدة والعدد وعززه بكثير من المنجنيقات من بينها منجنيق كبير اسمه (العروس) وكان لضخامة هذا المنجنيق يعمل عليه خمسمائة رجل يقومون بنصبه وجره ونقل الحجارة اليه[٥٢] .

وقد استعمل العرب في العصر الاموي المنجنيق في حصارهم لقلعة بني غياض في جرجان بقيادة يزيد بن المهلب حيث نزل عليها في موضع المجانيق ورماها بالنيران والنفط فلم يزل كذلك حتى فتحها عنوة[١٢]

لقد تعددت انواع المجانيق في هذا العصر وتفننوا في صنعها فأصبح في الجيش العباسي انواع مختلفة منها ما هو لرمي النشاب ومنها نوع اختص برمي الحجارة ونوع ثالث لرمي قنابل الزجاج وآخر لرمي العقارب والحيوانات الميتة والقاذورات[٥٥] .

ان استعمال الحشرات السامة والضارة مثل العقارب والافاعي والقاذورات أنما يكون ذلك من قبيل ادخال الرعب والفزع الى نفوس الاعداء بسبب هذه الحشرات والحيوانات وتهديدهم بالوباء مثلما تستخدم اليوم في الحروب الحديثة الجراثيم والمكروبات والتي تسمى بالحرب الجرثومية .

ولما كان التأثير المدمر لهذا السلاح عظيما فقد اوجدوا وسائل عديدة للوقاية منه ، ومن قذائفه • ومن هذه الوسائل اكساء الجزء الامامي من السور بالخشب الصلب الذي لا تضر به حجارة المنجنيق كخشب العرعر[٥٦] •

الى جانب ذلك فقد استخدموا الخندق معوقا لتقدم اصحاب المنجنيق ويتم ذلك باحاطة الحصون والقلاع بخندق واحيانا كانت تملا الخنادق بالمياه وتبني عليها الجدر مما يلي العدو ولمنع تقدمه فأن تمكن العدو من طم الخندق وعبوره بالمنجنيق عمد اصحاب الحصن الى رمي الذين يجرونه بالسهام من وراء شرفات حصنهم[٥٧] •

ويعتبر العصر الذهبي لاستخدام المنجنيق الفترة الممتدة من القرن الثاني عشر الى القرن الرابع عشر الميلادي •

العرادة :

والالة الحربية الثانية التي استعملها العرب المسلمون في هدم الاسوار « العرادة » وهي نوع صغير من المجانيق تلقى بها الاحجار والسهام الى مسافات بعيدة • كما يرمي بها النفط المستعمل في اتجاه الاعداء وتوضع في الحراقة [٥٨] ايضا • وهي قريبة الشبه بالمدفعية الخفيفة •

الدبابة :

ومن بين الاسلحة الثقيلة الدبابة وهي الة كبيرة على شكل برج متحرك متخذ من الخشب السميك وتغلف جوانبها باللبود ، أو الجلود المنقعة بالخل لمنع احتراقها بالنار وتركب على عجل مستدير وتحمل الدبابة بداخلها مجموعة من المقاتلين الذين يدنون الى الاسوار ليفتحوا فيها ثغرة وفي نفس الوقت يقومون برمي الاعداء بمختلف الاسلحة والمواد كالحجارة وكرات النار المشتعلة والنبال[٥٩] •

وكان القادة العسكريون يخصصون مجموعة من الجنود لمرافقة الدبابة أثناء تقدمها لتسوية طريقها وازالة الموانع الطبيعية او تلك التي يضعها العدو في طريق المحاربين وكانوا في بعض الاحيان ينقلونها بالشواني

الحربية من مكان الى اخر ..

وقد سبق ان نوهنا في صفحات سابقة بأن العرب عرفوا هذا السلاح منذ فجر الاسلام بل قبل ذلك واتقنوا صناعته واستخدموه في حروبهم ومعاركهم .

وكانت الدبابة من ابرز اسلحة الامويين فكان قوادهم يحملون دباباتهم في البحر على السفن ، فقد جاء عن غزوة العرب لبيزنطة في عهد معاوية ان السفن الحربية كانت مزودة بالات القذف التي تتكون من من المجانيق والابراج العالية (الدبابات) التي تستعمل في تسور الاسوار المحصنة .

ويبدو ان العرب كانوا ينقلون أجزاء الدبابة مفككة اثناء سيرهم لحصار مدن الاعداء ومن ثم يقومون بتركيبها بالقرب من تلك المدن .

أما عن الدبابة في العصر العباسي فأن تطورا كبيرا اصاب هذا السلاح سواء من ناحية التصميم ام من ناحية الاستعمال ، فمن حيث التصميم زادوا في ارتفاعها فأصبحت الدبابة مؤلفة من اربع طوابق[٦٠] . ثمان عجلات ، وتسع الدبابة الواحدة منها عشرة مقاتلين أو اكثر ، كما زادوا في ارتفاعها فأصبحت الدبابة مؤلفة من اربع طوابق[٤] .

وأما من حيث الاستعمال فلم يقتصر عمل الدبابة على ثقب السور فحسب وانما استخدمت ايضا في هدم الشرفات والمزاغل في القلاع والاسوار ، كما استخدم الطابق العلوي من الدبابة للعبور الى اعلى القلاع والحصون واسوار المدن المحاصرة بواسطة السلالم التي يلقونها على السور .

ولما كان تأثير هذا السلاح عظيما في الحروب فقد وجدوا طرقا عديدة لمقاومته وقد تعرض صاحب كتاب (اثار الاول) الى طرق الوقاية من الدبابة فأجملها بالقول الاتي (وأما الدبابة فدفعها بمنجنيق معين وزنة عليها ، فأن كانت ببرج خسفها وان كانت بستائر فرق من خلفها وان غفلوا عن الجلود واللبود المبللة بالخل فالنفط يلقي في جميع ذلك)[١٦] .

وكانت الخنادق حول المدن والحصون من الوسائل التي اتبعت للوقاية من الدبابة[٦٢] . وقد حدث في فتح عمورية ان الخليفة المعتصم امر بعمل دبابات كبيرة تسع كل دبابة عشرة رجال ، كما امر ان يطم خندق عمورية بجلود الغنم المملوء ترابا حتى يمكن للدبابات من عبوره[٦٣] .

واذا كان الخندق عريضا فأنهم كانوا يطرحون فيه حزم الحطب حتى يمتلىء ثم يطرح التراب لتسوية الطريق امام الدبابة واذا كان في الخندق ماء فأنهم كانوا يجمعون له فروع الشجر والحطب وتثقل بالاحجار ثم ترسب في قاعه ثم تطم بالتراب .

ومن وسائل الوقاية من الدبابة ايضا رميها بالحجارة . وقد اوجد العرب طريقة يحمون بواسطتها الدبابة من تلك الاحجار وهي ان يعلقوا على الدبابة ستائر غليظة بحيث تكون بعيدة عن خشبها لتضعف فعل الحجارة اذ يرمى بها كما حصل في سنة ١٤٩هـ عندما سار العرب بقيادة القاسم بن محمد لفتح حصن كمنح وهو من الحصون المنيعة في بلاد الروم .

القذائف النارية :

والى جانب الاسلحة المتقدمة استخدم العرب في حروبهم سلاحا رهيبا هو لقذائف النارية .

ومن المؤسف ان هذا السلاح لم يلق من العناية مثلما هو الحال بالنسبة الى بقية الاسلحة الاخرى على الرغم من ان هذا السلاح قد لعب دورا هاما في حياة العرب الحربية ، وما احدثه في مجال العلوم العسكرية الحديثة . فالفكرة السائدة لدى المؤرخين والباحثين ان بيزنطة هي مخترعة النار لذا لقد اطلقوا عليها اسم « النار اليونانية » او « النار البيزنطية » وتردد ايضا بأن « قلينيكوس » من مدينة هليوبوليس بمصر هو صاحب الاختراع وذلك اثناء الحكم البيزنطي لها[٦٤] .

غير ان من الادلة ما يثبت ان العرب قد عرفوا القذائف النارية قبل غيرهم وكان ذلك في مدينة الحضر التي مررنا عليها قبل ذلك . وقد

عانت تلك المدينة كثيرا من الحصارات الحربيـــة لم تفلح معظمها لشجاعة اهلها ومناعة اسوارها واستحكاماتها الحصينة وللاسلحة الدفاعية والهجومية التي كانت تستعملها في ذلك الوقت • وكان من بين تلك الاسلحة سلاح غريب من نوعه في ذلك الوقت هو سلاح ــ القذائف النارية ــ وقد اشار الرومان الى هذه القذائف في اخبارهم حيث سموها ــ النار الحضرية ــ نسبة الى مدينة الحضر • وقد ذكر الرومان بأن اهل الحضر كانوا يحاربون بنوع غريب من النيران المخفية المرعبة(٦٥) •

أما في العصر الاسلامي فأن القذائف النارية قد اصبحت ســلاحا مهما عند العرب استعملوه في فتوحاتهم وحروبهــم فــي حصــار المــدن بــرا وبحـــرا •

وقد طور العرب هذا السلاح وادخلوا عليه كثيرا من التحسينات ، فقد اولاء العباسيون (السلاح) الكثير من اهتمامهم فحققوا تطورا هاما اتى بنتائج باهرة اذ ادخلوا عليه الكثير من الاضافات انصبت بصورة خاصة على النواحي التركيبية منه ، كما تعددت الالات القاذفة لها فصار لكل نوع مــن هــذه الالات ، قذائف نارية خاصة بها ، منها مقذوفات ترمى بواسطة النشاب ومنها مقذوفات ترمى بواسطة المجانيق • ففي مخطوطة (تبصرة ارباب الالباب في كيفية النجاة في الحروب من الاسواء ، ونشر اعلام الاعلام في العدد والالات المعنية على لقاء الاعــداء) تأليف مرضي الطرسوسي مستشار السلطان صلاح الدين الايوبي العسكري جاءت تفصيلات وافية عن المقذوفات التي ترمى بالنشاب « كبريت جزء ، جــزء قلفونيـــا جــزء ، نورة جزء، ساس كتان او دقيق التبن مخلوط بنخالة الحنطة تسحق ما يجب سحقه وتخلط الجميع وتؤخذ من شحم الكلي فتحــرق وتؤخذ منــه جزء وتخلط معه وتلف تلك العقاقير في مشاقة رقيقة وتلف عليه قشر التــوت وتحشى به قلب النصل وتلف عليه وترمى فيه جمرة لطيفة او تحرق طرفه وترمى به فاذا خالطه الهواء اشعل نارا عظيمة فتحرق اي شيء اصابه(٦٦) •

ثم يتكلم عن المقذوفات التي تقذف بها المجانيق فيقول (قطران عشرة ارطال راتينج ثلثه ارطال سندروس من كل واحد رطل ونصف كبريت نقي طيب سالم من الترابية ثلثه ارطال شحم دلفين مسلى مذوب خمسة ارطال شحم كلا الماعز محلول مروق مثله تحل القطران وتلقى عليه تلك الشحوم وتطرح عليه الراتينج بعد ان تحله على حدته وتدر على المطبوخ وتقد عليه ويطبخ الى ان يصير الجميع واحدا فاذا اردت العمل به وفي وقت الحرب فتأخذ منه جزءا وتضيف اليه عشرة من الكبريت المعدني الذي يسمى النفط ما كان منه يميل الى الخضرة تشبه الزيت القديم ويجعل الجميع في طنجير وتغليه الى ان يكاد يقد فتغطي الاناء بلبد ، وليكن فخارا وترمي به عن المنجنيق على الشيء الذي تريد حرقه فأنه لا يطفأ ابدا) .

اما صاحب كتاب (الانيق في المجانيق)[٦٧] فقد ذكر لنا طريقة صنع القذائف النارية وتركيبها التي ترمى عن المنجنيق بشكل آخر حيث قال « قدر عراقي يأخذ اربعين قنا واربعين سندروس ينخل اللزاقات كلهم بقليل من النفط الخوزي يطعم العشار بدهن الرخامة بالنفط وينزل الجميع الى الرخامة ويخدمه عليها ويأخذ سندروس مخرمش ويعلقه ويأخذ قدرة المدورة من الفخار ويفتح لها ثلث شواريق وثلاث منافس ويبيضها (أي يسودها) بالزفت ويضرب اللزافات في القدرة ويأخذ ثلث عزاوز مطاولات يملاهم نفط ويحمل على رأس كل عزوز وردة من اللباد ولا يسد فم العزوز ويغرز الغراوز في اللزفات ويطالع الوردات من الشواريق ويطالع من كل شاروق اكريج عراقي مقلي بكبريت ويضرب عليها شبك من الشريط قدر عراقي) .

أما عن القذائف النارية التي تستعمل لقذف المراكب فيقول الطرسوسي[٦٨] (قطران جزء كبريت معدني وهو النفط جزء راتينج جزء سندورس ، جزء شحم كلي ماعز مثله كبريت اصفر ، جزء تسحق ما يجب سحقه ويرفع القطران على النار الى الدست شيء ، فأذا غلى القطران يضاف

اليه السندروس ويضرب به الى ان يختلط ثم يلقي عليه بعد الفراغ الكبريت المعدني الذي كله الزيت القديم وترفع فاذا احتجت اليه بأخذه وتغليه الى ان تعلم انه قد اخذ الحد تشعل فيه نارا وترسله على الماء الى ما اردت من المراكب فانه تحرق احراقا عظيما ويمشي على الماء ولا ينطفىء) .

وفي الشعر العربي ما يفيد الى أهمية سلاح النار في فتح الحصون والقلاع قال الشاعر المكي حينما فتح الرشيد هرقله :

هوت هرقله لما ان رأت عجبا
حوائما ترتمي بالنفط بالنار
كأن نيراننا في جنب قلعتهم
مصبغات على ارسان قصار

وقد تفنن العرب في استخدام النار في الحروب فاستعملوا طرقا متعددة لهذا الغرض . ويبدو بعضها غريبا من نوعه ، ففي مخطوط الطرسوسي[٦٩] ، نجد مثلا (صفة العمل بالنار على الخيل) على الوجه الاتي (وهو ان تؤخذ تجافيف مبطنة باللبود فيكس بها الخيل بعد ان تطليها بالطلاء المانع من احراق النار .. وتلطخ بذلك هذه التجافيف لطخا جيدا حتى يضم جميعها ثم تعمد الى مشاقة تتخذ منها كيانا بمنزلة الاجراس وترويها من النفط الذي يشعل وتلف عليها الخيوط الحديد الرقاق وتشدها في مقدم الفرس وفي مؤخرة وحول الكفل كل ذلك على التجانيف وتلبس انت درعا من خيش مبطن باللبود وسراويلات منه .. وتجعل على رأسك قلنسوة من اللبود مطلية بالطلاء وتجعل من تلك الاجراس وحواليها وتركب الفرس وتحذر ان يخرج له يد ولا رجل وتلعب بالفرس كر وفر فأن ذلك ممن يرهب العدو واذا عمل بليل كان له ارهاب عظيم) .

وقد امدتنا بعض المخطوطات الاثرية بصورة واضحة لهذا اللون من المظهر الحربي في استعمال النار في الحرب وتوضح الصورة[٧٠] (شكل ١٠) فارسا يرتدي درعا مبطنا

باللبـــاد مـــن النـــوع المطلي بمانـــع الحـــريق وقد كســـى بقلنســـوة من نفس المادة وكذلك بالنسبة لفرسه حيث يبدو الدرع متدليا الى الاطراف وكذلك رأس الفرس وقوائمه ومؤخرته والذيل • وقد اسند الفارس على كتفيه بصورة مستقيمة رمحا ركب فيـــه زج من طرفيه ، والرمـــح ملفوف بقماش من نفس قماش ملابس الفارس وفي مقدمة الفارس ومؤخرته رجلان يرتديان من نفس الملابس المانعة للحريق ، وقد حملا في ايديهما جميعـــا ادوات نظنها تتعلق بهذا النوع من وسائل الحرب •

ويبدو من استخدام هذا الاسلوب انه يعكس في نفس الاعداء نوعا من الرعب يقل من عزيمتهم لانه عندما يقوم الفارس بالكر والفر يدخـــل الخوف بمنظره وخصوصا اذا كان الوقت ليلا كما اشار الى ذلك الطرسوسي •

وفي المكتبة الاهلية بباريس صورة اخرى من مخطوط عربي عليهـــا رسوم رجال من العرب بعضهم على الخيـــول والبعض الاخر مشـــاة وفي ايديهم خرق مبسوسة بالنار يرمون بها الاعداء[١٧] • (شكل ١١)••

هذا عن النار العربية • اما عن ما يسمى بالنار اليونانية او النـــار البزنطية فليس لدينا ما يثبت ان الاوربيين قد عرفـــوا القذائف النارية قبل ان يعرفها العرب وقد اشار الاوربيون انفسهم الى ذلك • فقد ذكر ستيفن رانسيمان[٢٧] « ان السفن التجارية البيزنطية كان سلاحها الرئيسي هو النار الاغريقية التي اخترعت في القرن السابع » ومعنى هذا ان العرب قد عرفوا هذا السلاح قبل ان يعرفه الاوربيون بنحو اربعة قرون •

وفي الوقت الذي كان العرب يستخدمون هذا السلاح في حروبهم كانت اوربا تجهله جهلا تاما وليس ادل على ذلك ما كتبه الغربيون عنها ، فقد وصفت الاميرة (اناكومنينا) ابنة (اليكسيوس كومنينوس) الذي شهد عصر الحروب الصليبية الاولى النار العربيـــة في كتابهـــا عن ســـيرة ابيها مصورت مقدار روعها حين تعلو النار في الجو حين تشتعل ثـــم حين تنقض كقطعة من الجحيم فتشوي الناس وتتركهم رمادا تذروه الرياح[٧٣] •

غير ان بعض الباحثين[٧٦] من يعتقد ان (روجر بيكون) او (شغارتز) او (مارك) هو صاحب الاختراع • ويرى اخرون ان الفكرة الخاصة باطلاق قنابل عن طريق قوة متفجرة من البارود هي فكرة صينية • ٠

وقد اثبت (قاصيري) في القرن الثامن عشر الميلادي و (فياردو) و (رينو) و (فانية) في القرن التاسع عشر بكل وضوح وثقة ان اختراع البارود باعتباره قوة متفجرة دافعة للقذائف النارية البارودية انما يرجع للعرب وحدهم وليس لاحد سواهم[٧٧] • ففي كتاب (الفروسية والمناصب الحربية) لحسن الرماح نجد ذكر كثير من المواد المفرقعة والاسلحة النارية من قبيل قولهم (بيض يندفع تلقائيا ويحرق) وقولهم ايضا (تطير نافئة للهب) وكذلك ما ذكروه عن مواد تحدث صوتا مثل الرعد وهكذا[٧٨] • وقد جاء وصف الرماح للبارود كما يلي :

(تؤخذ عشرة دراهم من البارود ودرهما من الفحم ونصف درهم من الكبريت وتسحق جيدا حتى يصبح كالغبار ، ويملأ منها ثلث المدفع فقط خوفا من الغزارة •• ويضع الخرائط من اجل ذلك مدفعا من حديد او خشب تناسب جسامة فوهته وتدك فيه الذخيرة بشدة ويضاف اليها اما بندق واما نبل ثم تشعل ويكون قياس المدفع مناسبا لثقبه ، فاذا كان عميقا اكثر من اتساع الفوهة كان ناقصا[٧٩] •

فالعرب كما تقول الدكتورة (هونكه)[٨٠] (اول من صنع لغما تقذفه الصواريخ) وتقرر (هونكه) ان الخليط العربي العجيب الذي يحدث رعدا وبرقا قد وصل الى بعض علماء اوربا امثال (روجر بيكون) و (البرتوس مجنوس) و (فون بولشتدث) وقد يكون الاخير هو الذي اتصل اثناء تجواله بذلك الذي يدعي انه مخترع البارود وهو (الفرنسيكاني برتولد شفرز) في فرسورج واخبره عن هذا الاختراع العربي • وتضيف هونكه[٨١] فتقول (ثم حدث ان انتقلت النظرية الى التجارب العلمية التي هزت كيان العالم ، فالعرب في الاندلس هم اول من استخدمه في

وقد استمر جهل الصليبيون بالنار العـربية حتى الحملة الصليبية السابعة التي قادها ملك فرنسا (لويس السابع) وكان هدفها مصر • فقد جاء في المذكرات اليومية للفارس (دي جوانفيل) التي جمعها في كتابه (ذكريات عن الحروب الصليبية) عن يومي ٦و٧ شباط سنة ١٢٥٠م ما يأتي (في غسق الليل جاء المسلمون بآلة عجيبة ووضعوها اتجاه الأبراج التي كنا ساهرين على حراستها انا و (السير والتركوريل) ثم قذفونا منها بشيء ملأ قلوبنا بالدهشة والرعب ، نار كأنما هي الأدنان المشتعلة وذيولها من خلفها مثل الحراب الطويلة ودويها يشبه الرعد كأنها جارح يشق الهواء ولها نور ساطع جدا من جراء عظيم انتشار اللهب الذي يحدث الضوء حتى انك ترى كل ما في المعسكر كما لو كان في وضح النهار وقد رمى المسلمون علينا هذه النار في تلك الليلة ثلاث مرات من الالات الكبيرة واربع مرات مـن القسى العريضة[٧٤]) •

وقد اشارت الاميرة (انا) الى بعض عناصـر هـذه النار ووصفت طريقة استعمالها فقالت (انها مزيج من النفط والزيت والكبريت المجمـد بنوع من الصمغ القابل للاشتعال وكان هذا المزيج الناري يعبأ في انابيب من النحاس لها فوهة توقد منها وفي مؤخرتها قوس تنطلق فتدفعها الى الامام• وكانت تلك الانابيب توضع بكميات كبيرة في اسطوانة مستديرة توضع في مدافع المنجنيق ثم تقذف على العدو فتصليه نارا حامية اذ تنفجر بقوة الاصطدام فيندلع لهيب لا يمكن لانسان ان يخمده وينتشر شررها في كل جانب فتجعل ما حولها جهنم وبئس المصير)[٧٥] •

هذا وقد تحقق على يد العرب في العصر العباسي تطور هام في حقل الاسلحة النارية اتى بنتائج باهرة ذلك هو اختراع البارود نتيجة دراسات كيمياوية قام بها علماء العرب في هذا الميدان ، حيث نجحوا في القرن الثاني عشر في ايجاد مادة مفرقعة كاوية حارقة • ومن الجدير بالذكر ان كلمـة (البارود) ذكرها ابن البيطار في كتابه لمفردات الادوية لاول مرة •

اوربا • فالعرب الاندلسيون هم صانعوا القنابل من البارود ، وقد اشار ابن خلدون[٨٢] الى استعمال العرب للبارود في حروبهم عندما فتح ابو يوسف سلطان مراكش مدينة سلجماسة واخرج بني عبدالواد سنة ٦٧٢هـ • اذ يقول (ولما فتح ابو يوسف بلاد المغرب وانتظمت امصاره ومعاقله في طاعته ، وغلب بني عبدالمؤتمن على دار خلافتهم ومحارسهم وافتتح طنجة وطوع سبته مرفأ الجواز الى العودة وثغر المغرب سما أمله الى بلاد القبلة فوجه عزمه الى افتتاح سلجماسة من ايدي بني عبدالواد المتغلبين عليها وادالـه دعوته فيها من دعوتهم فنهض اليها في العساكر والحشود في رجب سنة اثنتين وسبعين وستمائة فنازلها وقد حشد اليها اهل المغرب اجمع من زناته والعرب والبربر وكافة الجنود والعساكر ونصب عليها الات الحصار من المجانيق والعرادات وهندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزانه ، اما النار الموقدة في البارود • بطبيعة غريبة ترد الافعال الى قدرة باريها)•

اما عن الالة التي تقذف البارود والتي تسمى بالمدافع او المكاحل فأن العرب استعملوا المدافع في عدة حروب وكانوا يصنعونها في بادىء الامر من الخشب ويحزمونها بالحبال ويطلونها بالطلاء للمتانة ثم اخذها عنهم الاوربيون • ويقال ان احدى المدن الاسبانية التي كانت ما تزال في ايدي العرب في القرن الرابع عشر الميلادي استخدمت المدافع في حربها ضد قوات الفرنجة المحاصرة فقد فوجئت القوات القائمة بالحصار بسلاح جديد يتكون من مأسورة يقترب منها شخص معه عصا من حديد في طرفها لهيب يقربه من المأسورة فيحدث صوتا كالرعد ويندفع في المأسورة لهب ودخان وتنطلق منها كرة من الحديد مما جعل القوات المحاصرة تفر من الميدان خوفا من « القوة الشريرة » •

والتاريخ يحدثنا ان المدفعية العربية قذفت بقنابلها في الاعوام ١٣٢٥ و١٣٣١و١٣٤٢م مدنا مثل (بازا) و (اليكنا) و (الجيكراس) فأحدثت هذه القنابل ذعرا شديدا في صفوف الاعداء حتى انهم اعتقدوا ان

الساعة قد اقتربت وادنت الدنيا بزوال • وفي عام ١٣٤٦م دارت معركة طاحنة هى المعروفة بأسم (كريس) فاصلت فوهة المدفعية التي اطلق عليها الاوربيون وقتذاك فوهة الشيطان نيرانا حامية استولى الرعب على الانجليز الذين كانوا في (الجزيرة) كما نكل العرب بالفرسان الفرنسيين تنكيلا عظيما واحرزوا عليهم نصرا مبينا[٨٣] •

هذا وقد وصلت الينا صورة لهذا النوع من السلاح ، والصورة تحتفظ بها مكتبة بفرسبرج نرى فيها صورة لرجلين من العرب يشتغلان في الاسلحة النارية احدهما الى اليمين يحمل ما يشبه البندقية وفيها القنبلة والبارود داخلها وقد ادناها من لهيب امامه حتى يولع البارود ويقذف لقنبلة[٨٤] • (شكل ١٢)

الهوامش :

١ ــ الاصفهاني ــ الاغاني ج ٤ ص ١٣٢ ــ عون ، عبدالرؤوف ــ الفن الحربي في صدر الاسلام ص ٥٠

٢ ــ المبرد ، الكامل ص ١٠٠

٣ ــ ديوان عنترة ، تحقيق شلبي .

٤ ــ عون ــ الفن الحربي في صدر الاسلام ص ١٥٢ .

٥ ــ عون ــ المصدر السابق

٦ ــ زكي ، عبدالرحمن ــ السيف في العالم الاسلامي (مطابع دار الكتاب العربي) ص ٤٠

٧ ــ عون ــ المصدر السابق ص ١٥٠

٨ ــ المصدر السابق ص ١٥٠

٩ ــ زكي ــ المصدر السابق ص ١٤٤

١٠ ــ المصدر السابق ص ١٦٦

١١ ــ المصدر السابق ص ١٧٨

١٢ ــ المصدر السابق ص ٤٩ .

١٣ ــ زكي ــ المصدر السابق ص ١٢٨ .

١٤ ــ العبيدي ــ التحف المعدنية الموصلية في العصر العباسي ص ١٠١

١٥ ــ القيسي ، نوري ــ الفروسية في الشعر الجاهلي (منشورات مكتبة النهضة ــ بغداد ص ١٧٥

١٦ ــ الطرسوسي مرضي بن علي بن مرضي ــ تبصرة ارباب الالباب في كيفية النجاة في الحروب من الاسواء . عني بتحقيقه ونشره كلود كاهين ص ١١ .

١٧ ــ المصدر السابق ص ١١ .

١٨ ــ الالوسي ــ شكري ــ بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ــ القاهرة ١٩٣٥ ــ ٣/٣٥٥

١٩ ــ عون ــ المصدر السابق ص ١٤٤

٣٠ ــ المصدر السابق ص ٩ــ١٠ .

٢١ ــ العسكري ، ابو هلال كتاب التلخيص في معرفة اسماء الاشياء ج ٢ص٥٣٥

٢٢ــ العسكري ــ ابو هلال ــ كتاب التلخيص في معرفة اسماء الاشياء ج ٣ ص ٥٣٥

٢٣ ــ ابن عبد ربة ــ العقد الفريد ج ٣ ص ٦٨
٢٤ ــ كشاجم ــ ابو الفتح محمود بن الحسن ــ المصايد والمطارد ص ١٦٤ .
٢٥ ــ كشاجم ــ المصدر السابق ص ١٦٥
٢٦ ــ الطرسوسي ــ المصدر السابق ص ٨
٢٧ــ المصدر السابق ص ٦
٢٨ ــ المصدر السابق ص ٨
٢٩ ــ المصدر السابق ص ٨
٣٠ ــ المصدر السابق ص ٩ــ١٠ .
٣١ ــ القيسي ــ نوري ، المصدر السابق ١٨٦ .
٣٢ ــ ثابث ، نعمان ــ الجندية زمن الدولة العباسية ص ٦٧
٣٣ ــ هندي ، احسان ــ الحياة العسكرية عند العرب (طبعة دمشق)ص٦٥
٣٤ ــ القيسي ــ المصدر السابق ص ١٨٦ .
٣٥ ــ ماير ــ الملابس المملوكية ص ٦٧
٣٦ــ المصدر السابق ص ٦٨ .
٣٧ ــ زكي ، عبدالرحمن ــ السلاح في الاسلام ــ دار المعارف بمصر) ص١٨ .
٣٨ ــ الطرسوسي ــ المصدر السابق ص ١٤
٣٩ ــ ابن الزبير ــ الذخائر والتحف ص ٣١٥ .
٤٠ ــ التاج (خوذ)
٤١ ــ هندي ، احسان ــ المصدر السابق ص ٦٨ .
٤٢ ــ هندي ، المصدر السابق ص ٦٨
٤٣ ــ عون ، المصدر السابق ص ١٨٩
٤٤ ــ هندي ، المصدر السابق ص ٦٨
٤٥ ــ المصدر السابق ص ٦٨
٤٦ ــ عدوان ، احمد محمد ــ دراسة في تاريخ الصناعات العسكرية في العصر المملوكي مجلة كلية التربية ــ جامعة الفاتح بليبيا ــ العدد ٥ (١٩٧٦ ص ٢٤٠)
٤٧ ــ الحسن بن عبدالله ص ١٩١
٤٨ ــ العبيدي ، صلاح ــ المنجنيق سلاح عربي في ضوء التنقيبات الاثرية (مجلة كلية الاداب) العدد ٢٥ ــ شباط ١٩٧٩ ، ص ٥٩٥ .
٤٩ ــ الطبري المصدر السابق ج٣ ص ١٣٧ .
٥٠ ــ ابن الاثير ، الكامل جد ص ٥٠٩ .
٥١ ــ ابن الاثير ــ المصدر السابق ج٣ ص ٥٠٩

٥٢ — زيدان جرجي ، تاريخ التمدن الاسلامي ج ١ ص ١٩٦ — ثابت نعمان — الجندية في العصر العباسي ص ١٥٨ .
٥٣ — ابن اعتم — كتاب الفتوح ج ٧ ص ٢٩٦ .
٥٤ — نعمان ص ١٤٦
٥٥ — هندي — المصدر السابق ص ١٢٩
٥٦ — عون ، المصدر السابق ص ١٦٢ .
٥٧ — الحسن بن عبدالله — المصدر السابق ص ١٩٦
٥٨ — المصدر السابق ص ١٩٢ ، ثابت — المصدر السابق ص ١٩٣ .
٥٩ — الحموي — محمد ياسين — تاريخ الاسطول العربي (طبعة دمشق ١٩٤٥) ص ٦٦
٦٠ — الحسن بن عبدالله — المصدر السابق ص ١٩٢
٦١ — المصدر السابق ص ٢١٥ .
٦٢ — عون ، المصدر السابق ص ١٦٩—١٧٠
٦٣ — ثابت — المصدر السابق ص ١٥٩ .
٦٤ — العبيدي ، القذائف النارية والبارودية العربية في ضوء المصادر الاثرية مجلة كلية الاداب العدد الثالث والعشرون (ملحق) ١٩٧٨ ص ٥٥ .
٦٥ — المصدر السابق ص ٥٦
٦٦ — الطرسوسي — المصدر السابق ص ٢١ .
٦٧ — الزردكاش — ارنبا ، الانيق في المجانيق (مخطوطة مصورة بالجامعة العربية تحت رقم ٩٧٠) ورقة رقم — ١٦ — .
٦٨ — الطرسوسي — المصدر السابق ص ٢٢ .
٦٩ — الطرسوسي — المصدر السابق ص
٧٠ — زيدان ، جرجي ، المصدر السابق ص ٢٠١
لويون — المصدر السابق شكل ٢٣٥ ، ٢٣٦ .
٧١ — المصدر السابق ص ٢٠١
٧٢ — رانسمان ، ستيفن — المدينة البيزنطينية — ترجمة صالح العلي ص ٨٣
٧٣ — زكي ، عبدالرحمن — معركة المنصورة واثرها في الحروب الصليبية ص٧٤
٧٤ — ماهر ، سعاد — البحرية في مصر الاسلامية ص ٢٣٤ .
٧٥ — زكي ، عبدالرحمن ، معركة المنصورة ص ٧٤
٧٦ — انظر — مظهر ، جلال — الحضارة الاسلامية اساس التقدم العلمي الحديث ص ١٠٣
٧٧ — المصدر السابق ص ١٠٣ .

٧٨ ــ هونكه ــ فضل العرب على اوربا : ترجمه وحققه وعلق عليه فؤاد حسنين

٧٩ ــ عدوان ، احمد محمد ــ المصدر السابق ص ٢٤٥ ــ ٢٤٦

٨٠ ــ هونكه ــ المصدر السابق ص ٣٢

٨١ ــ المصدر السابق ص ٣٢

٨٢ ــ ابن خلدون : المقدمة ج ٧ ص ٨٨ .

٨٣ ــ هونكه ــ المصدر السابق ص ٣٣ .

٨٤ ــ زيدان ــ المصدر السابق ص ٢٠٢ .